ابتداء التدوين في صدر الاسلام

* كيف بدأ التدوين في صدر الاسلام.

* كتابةُ عليه السلام لعمرو بن حزم ولغيره من الصحابة وملوك العرب والعجم.

* صحيفة علي بن أبي طالب (الصحيفة).

* رسالة عمر بن عبد العزيز لعامله أبي حزم بالأمر بكتابة الحديث.

* كتابة العلم في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الصحابة.

* الصحيفة الصادقة – لعبد الله بن عمرو.

* كتابة زيد بن ثابت في علم الفرائض.

* كتب زائدة بن قدامة الثقافي في جمع السنة.

* كتاب ابن شهاب الزهري في المغازي.

* رأي ابن حجر وشهادته في مقدمة الفتح.

* خاتمة.

ابتداء التدوين في صدر الاسلام

للشيخ المسند عبد الحي الكتاني*

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

أيها السادة، أرجو أن تسمحوا لي لأن أُحدثكم عن ابتداء التدوين في صدر الاسلام :

إن كثيرا من رجال العلم الذين اعتنوا بالأوليات ينسبون ابتداء التدوين لأهل القرن الثاني في زمن صغار التابعين فمن بعدهم، ويعتمدون في ذلك على ما خرجه الهروي في كتابه في ذم الكلام عن عبد الله بن دينار قال : لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث لفظا ويأخذونها حفظا إلا كتاب الصدقات، والشيء اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء حتى خيف عليه الدروس وأسرع في العلماء الموت، فأمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر بن حزم فيما كتب إليه أن انظر ما كان من سنة أو حديث عمر فاكتبه.

وعلى ما لمالك في الموطأ رواية محمد بن الحسن قال : أخبرنا يحيى بن سعيد، أن عمر بن عبد العزيز، كتب إلى أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة أو حديث عمر ونحوه فاكتبه لي، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء. وأخرجه البخاري في صحيحه معلقا وأخرجه ابو نعيم في تاريخ اصبهان بلفظ كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق أنظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه، وعلى ما للامام ابي طالب المكي في قوت القلوب ص 159 ج 1 قال : هذه المصنفات من الكتب حادثة بعد سنة عشرين او ثلاثين ومائة من التاريخ وبعد وفاة كل الصحابة وعليه التابعين، ويقال إن أول ما صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفسير بمكة هـ

وقال الامام ولي الدين ابن خلدون في مقدمة العبر في غير موضع منها : إن الملة في أوائلها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السداجة، وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم والقوم

* محدث المغرب ونسابته وعالمه الكبير.

يومئذ عرب لم يعرفوا من التعليم والتأليف والتدوين ولا رجعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة، وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين هـ انظر ص 477 وغيرها.

وقد اشتهر هذا في الأعصار الأخيرة وخصوصا الآن حتى إن البحاثة جرجي زيدان قد تهجم على ذلك العصر الطائر تهجما يولول بتنقيص كبير منه لأهله فذهب إلى أن الخلفاء الراشدين كانوا يخافون الحضارة على العرب فلذلك كانوا يمنعونهم من تدوين الكتب قال : لأن علومهم في أول الاسلام كانت قاصرة على القرآن والتفسير ورواية الأحاديث، وكان الاعتقاد فاشيا في الصحابة والتابعين، قال فقضى العرب عصر بني أُمية ولم يدونوا شيئا غير القرآن، انظر ص 50 ج 3 من كتابه التمدن الاسلامي. وقال أيضا ظل المسلمون زهاء قرن وليس عندهم كتاب مدون غير القرآن. وقال أيضا في ص 205 من ج. المذكور العرب قضوا القرن الأول ونصف الثاني وأبحاثهم قاصرة تقريبا على العلوم الاسلامية ولم يدونوها إلا في أواخر تلك المدة هـ

ولا شك أن هذا الظن السيئي يكون حاجزا في طريق حسن ظننا بالكاتب المذكور، وقد كان انتدب للكلام معه صديقنا الكاتب البحاثة رفيق بك العظم الدمشقي نزيل مصر في خطاب كان ألقاه بنادي المدارس العليا بالقاهرة، ولكنه رحمه الله لم يوف بكل ما يجب أن يقال ويصدم في وجه هذا الاعتقاد السيىء.

لذلك أردت أن أقوم سدا متينا بين هذه الثلمة وبين ذاك العصر الطاهر بما هو نتيجة بحثي المتواصل وسهري الطويل فأقول :

من تتبع كتب أيمة الحديث والتاريخ والأخبار بمزيد روية وتأمل، يجد ما ينافي ذلك ويثبت لعصر الصحابة عصر النور والعلم والايمان والفتح غير ما جمع ونسخ وكتابة وتدوين وتصنيف لهم ولأتباعهم في القرن الأول الهجري وأول الذي بعده.

بل إن تأمل المتأمل يجد أن التدوين والجمع وقع في زمنه عليه السلام ومنه فقد كتب عليه السلام كتبا لأهل الاسلام في الشرائع والأحكام.

منها كتابه عليه السلام في الصدقات وكان عند أبي بكر، وكتابه عليه السلام في نصاب الزكاة وغيرها الذي كان عند عمر، وكتابه إلى أهل اليمن بأنواع الفقه وأبواب مختلفة في الزكاة والديات والأحكام وذكر الطلاق والعتاق وأحكام

الصلاة ومس المصحف وغير ذلك، وهو كتاب جليل احتج الفقهاء وغيرهم بما فيه من مقادير الديات وغيرها.

أخرج أحمد وأبو داود وحسنه، والحاكم من طريق أبي سفيان، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : كتب رسول الله ﷺ كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله وقرنه بسيفه حتى قبض، فعمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض.

وقد ساقه مالك في الموطأ في باب صدقة الماشية من كتاب الزكاة قائلا : مالك أنه قرأ كتاب عمر في الصدقات فساقه.

وقد قال الامام أبوعلي اليوسي في القانون لما تكلم على طرق نشر العلم وأنها ماثورة قديمة قال : وأما التاليف فأصله ما كان النبي ﷺ يفعله من كتب الوحي إذا نزل وكتب الرسائل إلى الملوك وغيرهم، وكتاب الصدقات وقد جمع فيه مسائل فهو علم مدون وذلك هو التأليف، ولكن كان المصطفى لا يكتب بيده لما أغناه الله عن ذلك. لقد كان يأمر بالكتب والمقصود إنما هو وضع العلم وتدوينه وتخليده سواء كتب العلم بيده أم لا، وكم من عالم يملي ولا يكتب ويكون ذلك تاليفا هـ

وفي بلوغ أقصى المرام للعلامة أبي عبد الله ابن مسعود الطرنباطي شارح الألفية. لما علم مهرة الصحابة والتابعين أن ليس كل أحد يقوم بفهم معاني القرآن، اشتغلوا بتفسيره، ودونوا التفاسير نصحا لمن بعدهم، ودونوا الأحاديث النبوية وذلك وسيلة إلى معرفة ما وقع التكليف به هـ ومثله في الأزهار الطيبة النشر في مبادئ العلوم العشر للشيخ الطالب ابن الحاج.

قال القاضي عياض : اعتمد مالك والعلماء والخلفاء قبلهم كل مافي هذا الكتاب يعني كتابه عليه السلام لعمرو بن حزم، ولم يرد عن الصحابة إنكار شيء منه هـ. قال الباجي هو أصل في كتابة العلم وتصنيفه في الكتب هـ

وفي الاستبصار في أنساب الأنصار للموفق ابن قدامة المقدسي صاحب المغني لدى ترجمة عمرو بن حزم الأنصاري، استعمله النبي ﷺ على نجران ليفقههم في الدين، وكتب له كتابا في الفرائض والسنن والصدقات.

وكتاب عمرو بن حزم هذا مشهور يحتج به العلماء، قال ابن عبد البر : شهرته أقوى من الاسناد.

وقال النووي في التهذيب : بعث معه النبي ﷺ كتابا في السنن والفرائض والصدقات والجروح والديات، وكتابه هذا مشهور في كتب السنن رواه ابو داود والنسائي وغيرهما مفرقا، وأكملهم له رواية النسائي في الديات ولم يستوفه أحد منهم في موضع هـ ص 26 ج 13

وقد ذكر طرقه الحافظ ابن كثير، وقال بعد ذكر الاختلاف في بعض طرقه : وعلى كل تقدير فهذا الكتاب متداول بين أئمة الاسلام قديما وحديثا، يعتمدون عليه في مهمات هذا الباب كما قال يعقوب السفياني : لا أعلم في جميع الكتب أصح من كتاب عمرو ابن حزم هذا، كان الصحابة والتابعون يرجعون إليه ويدعون آراءهم، وصح أن عمر ترك رأيه ورجع إليه.

وقال الامام ابن إبراهيم الوزير اليمني في "الزهر الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم" إثر كلام ابن كثير : ظاهر كلامهم دعوى إجماع اهل الصدر الأول على قبول حديث عمرو بن حزم، وذلك يقتضي الاجماع على العمل بالوجادة هـ انظر ص 35 منه

وفي هذا مكاتبه عليه السلام إلى الملوك والأطراف وولاته، فقد كانت بإملائه عليه السلام على كتابه، واعتنى الصحابة ومن بعدهم بجمعها ونسخها وحفظ نصوصها.

وقد استوعب نصوص أكثرها ابن سعد في الطبقات انظر ص 5 إلى ص 38 من ج 1 من القسم الثاني.

وقف على الكتاب المسمى "بالمصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي" للامام محمد بن علي بن حديدة الأنصاري فقد قسمه إلى قسمين : الأول في كتابه عليه السلام الثاني في رسله ومكاتباته إلى الملوك ونحوهم، ووقوفك على ذكر يفهمك احتفاظ الصحابة والسلف بتلك المكاتب وجمعهم نصوصها، وإلا لما وصلت لابن سعد في القرن الثالث، وابن حديدة في القرن السابع حتى يدونها ويسوقها كما كتبت بألفاظها.

بل في سيرة ابن هشام قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري، أنه وجد كتابا فيه ذكر بعث النبي ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى ابن هشام فعرفه.

وفي آخر نصب الراية للحافظ جمال الدين الزيلعي، أن الواقدي استدعى عكرمة قال : وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فنسخته، فإذا فيه وأتى بنص كتاب النبي ﷺ للمنذر بن ساوى وجواب المصطفى له عليه السلام انظر ص 371 ج 2.

فيؤخذ منه أنه كان لابن عباس الكتب إما من تصنيفه، أو من تصنيف من قبله، أو كان معه ويفيد على كل حال وجود الكتب في تركة الصحابة وممتلكاتهم، ويفيد أنهم كانوا يعددون النسخ من مكاتبه عليه السلام ويذخرونها، وهذا هو الجمع والتدوين.

وفي صحيح البخاري أن خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأُخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته وخطب خطبته المعروفة المشهورة فجاء رجل من اليمن فقال : اكتب لي يا رسول الله، فقال : اكتبوا لأبي فلان، قال الحافظ في الفتح : هو أبو شاة بهاء منونة وهو مسمى في كتاب اللقطة، وهناك من الزيادة عن الوليد بن مسلم قلت للأوزاعي : ما قوله اكتبوا لي ؟ قال : هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ، وقد بوب البخاري على القصة باب في كتابة العلم، قال الامام أبو عبد الله المازري فيما علقه على مختصر الجوزي في هذا من أدلة جواز كتابة العلم وتدوينه، وقدر من كرهه خشية الاتكال متروك، مع أن مالكا قال : لم يكن عند شيخنا ابن شهاب كتاب إلا كراسة فيها نسب قومه هـ

وفي ترجمة ابن سيرين من طبقات ابن سعد عنه، لو كنت متخذا كتابا لاتخذت رسائل النبي صلى الله عليه وسلم انظر ص 131 ج 7.

وقد بوب البخاري في كتاب المغازي من الصحيح باب كتابة الامام الناس، قال الحافظ في الفتح : أي من المقاتلة، والمراد ما هو أعم من كتابته هو نفسه او بأمره هـ

وقد ذكر البخاري فيها قول المصطفى عليه السلام : اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس، فكتبت له ألفا وخمسمائة رجل، قال الدماميني : كان هذا عام الحديبية.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال سمعت النبي ﷺ يقول : لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم، فقام رجل

فقال : يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني كنت في كذا وكذا قال انطلق مع امرأتك وهو أيضا في الصحيح بلفظ إني كنت في غزوة كذا وكذا وامرأتي حاجة.

قال الحافظ في الفتح : يشعر بأنه كان من عاداتهم كتابة من يتعين للخروج في المغازي هـ.

وفي الخطط للمقريزي كانت كتابة الديوان في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة هـ

فيمكننا الجزم بأن هذا أول تدوين وقع في الاسلام، إذ كتابة الناس على اختلاف مراتبهم في السبقية للاسلام والهجرة والنصرة والغزو، المادة الأولى لكتب تراجم الصحابة وتراجم زعماء الاسلام وأبنائهم.

وكان عليه السلام اتخذ كتابا يكتبون له أموال الصدقات، وهم الزبير بن العوام فإن غاب أو اعتذر. كتب جهيم بن الصلت وحذيفة بن اليمان ذكر ذلك ابن حزم في كتابه جوامع السيرة والقضاعي في كتاب الأنباء.

وهذا يدل على أن النظام والضبط وصل في زمنه عليه السلام إلى تقييد الداخل والخارج، مما يتعلق بالأموال ونحوها فكيف لا يقيدون الدين وهو أهم وأكبر وأكثر وقعا ؟.

وفي بدائع الصنائع للامام علاء الدين الكاساني الحنفي ص 45 ج 2 حين تكلم على ما كان يعطيه رسول الله ﷺ لرؤساء قريش وصناديدهم قال : روي أنه لما قبض رسول الله ﷺ جاءوا إلى أبي بكر فاستبدلوا الخط منه لسهامهم فبدل لهم الخط ثم جاءوا إلى عمر فأخبروه بذلك، فأخذ الخط منهم ومزقه وقال : إن رسول الله ﷺ كان يعطيكم ليؤلفكم على الاسلام فأما اليوم فقد أعز الله دينه الخ القصة. وهي تفهمك أن الناس في زمنه عليه السلام كانوا يأخذون العطاء بالضبط والتقييد والتوصيل وجعل قوائم للآخذين.

وبعد أن ذكر الامام القلقشندي في صبح الأعشى ص 11 ج 1 عن القضاعي، أن الزبير بن العوام، وجهيم بن الصلت كانا يكتبان له عليه السلام أموال الصدقات، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخل قال ما نصه : فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين قد وضعت في زمنه عليه السلام هـ.

فهي أصل ديوان العطاء الذي دون في زمن عمر وبإذنه، وانتدابه لكتبه عقيل بن ابي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، قال الماوردي : وكانوا شباب قريش وقال لهم : اكتبوا الناس على منازلهم.

وقال الماوردي : إن عمر حين أراد وضع الناس في الديوان قال : بمن أبدأُ ؟ قال عبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك، فقال عمر : إني حضرت رسول الله ﷺ يبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب، فبدأ بهم عمر رضي الله عنه ثم بمن يليهم من قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى قبائلهم، ثم انتهى إلى الأنصار فقال عمر : ابدأ برهط سعد بن معاذ من الأوس ثم الأقرب فالأقرب من سعد، واستقر ترتيب الناس في الديوان على قعدد النسب المتصل برسول الله ﷺ هـ

وقال النووي في التهذيب ص 12 ج 2 :كان عمر أول من دون الديوان للمسلمين، ورتب الناس على سابقتهم في العطاء وفي الاذن والاكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولا عليه، وكان علي بن ابي طالب أولهم وأثبت أسماءهم في الديوان على قربهم من رسول الله ﷺ، فبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب ثم الأقرب فالأقرب هـ منه.

وفي الكامل لابن الأثير، وفي سنة خمس عشرة من الهجرة فرض عمر الفروض، ودون الدواوين، وأعطى العطايا هـ.

وقال الامام أبو الحسن الخزاعي في تخريج الدلالات السمعية : قد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ أمر بكتابة الناس، وأنهم كتبوا في عصره، ثم أطبق أهل الأثر وأصحاب السير، أن عمر أول من وضع الديوان في الاسلام، وفرض الأعطيات، وهذا غير مخالف لما تقدم، فإنهم وإنما يعنون أنه أول من دون الدواوين ورتب الناس فيها وفرض الأعطيات ولأن كتابة الناس في عصره عليه السلام إنما كان في أوقات كتبهم حين أمر حذيفة بإحصاء الناس، ونحو كتب من تعين منهم في بعث من البعوث، كما في خبر ابن عباس فلما كان في خلافة عمر وكثر الناس وجبيت الأموال وتأكدت الحاجة إلى ضبطهم وضع الديوان هـ.

فهذا الديوان العمري المادة الوحيدة لتواريخ البيوتات الاسلامية العربية وغيرها.

وكان الأساس الأكبر للتدوين الاسلامي في الأنساب وأهل السبقيات،

انظر لقول ابن سعد في الطبقات لما ترجم للنعمان ابن مالك وسبب تسمية آله قواقلة قال : كذلك هم في الديوان يدعون بني قوقل.

وكذا قال لدى كلامه على بني جشم وزيد بن الحارث بن الخزرج ودعوتهما واحدة في الديوان.

ومن هذا الباب جمع القرآن فإنه كان في زمنه عليه السلام في الصحف والجريد ونحوه مما كانوا يكتبون فيه إذ ذاك، ثم جمع ما كان مفرقا في الصدور والسطور بعد النبي ﷺ في مدة ابي بكر، فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر، وأخرج أبو يعلى عن علي قال : أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر. إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين. وروى ابن شيبة في كتاب المصاحف من طريق بسند منقطع، عن ابن بريدة قال : إن أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، وذلك أنه أقسم أن لا يرتدي برداء حتى يجمعه فجمعه، ثم ائتمروا على أن يسموه باسم فقال بعضهم : سموه السفر، فقال لهم : إن ذلك من تسمية اليهود لكتبهم فكرهوا ذلك، فقال : إني رأيت مثله في الحبشة يسمى المصحف، فأجمع رئيسهم على أن يسموه المصحف، فسمي به وهو محمول على أن سالما أحد الجامعين للمصحف بأمر أبي بكر.

قال الحافظ أبو الحسن علي الخزاعي التلمساني في تخريج الدلالات السمعية : قد كان أبو بكر جمع القرآن في صحف وبقيت تلك الصحف عند حفصة أم المؤمنين إلى زمن عثمان، ذكر ذلك أبو محمد بن عطية وغيره، وكان جماعة من الصحابة جمعوه قبل ذلك ومن أشهرهم عبد الله بن مسعود.

وقالوا : إن عثمان حين أكمل كتب المصحف أمر بانتزاع ما عند الصحابة من المصاحف فانتزعت إلا مصحف عبد الله بن مسعود، فهذا يدل على أنه قد كانت مصاحف ثمة جمعت قبل مصحف عثمان.

قلت : وسيدنا علي كرم الله وجهه كان رتب مصحفه على ترتيب القرآن في النزول.

وبالجملة فقد كانت مصاحف قد جمعت قبل مصحف عثمان، وانما نسب جمع المصحف لعثمان لأنه جمع الناس على مصحف واحد، وهو الذي بعث بنسخه للأمصار وائتم المسلمون به في سائر الأقطار، قال ابن العربي في العواصم

والقواصم : جمع القرآن تلك حسنة عثمان العظمى وخصلته الكبرى وإن كان وجدها كاملة، ولا كنه أظهرها ورد الناس إليها وحسم ماده الخلاف فيها هـ قلت أليس هذا من التدوين والجمع.

وبعد أن قرر القاضي العلامة أبو عبد الله بن الأزرق الغرناطي في كتابه روض الاعلام في منزلة العربية من علوم الاسلام، أن السلف تسارعوا إلى وضع علم العربية لما علموا في ذلك من المصلحة قال : هذا إن سلم أن وضع هذا العلم لم يتقدم إليه الخلفاء الراشدون، وأما إن كانوا هم الذين أمروا وأرشدوا إلى تاصيل أوضاعه كما يدل عليه ما تقدم، فهو لاشك من جملة ما سنوا من الخير الذي سبقوا إليه، ودليله هو هو بعينه جمع المصحف وغير ذلك مما تقتضيه قاعدة المصالح المرسلة هـ وانظر ما سيأتي في ترجمة أبي الأسود الدؤلي.

وبعد أن بسط الفتح الاسلامي ألويته اضطرت شؤون الادارة والأحكام إلى تكليف العمال والموظفين برفع التقارير الجغرافية عن الأمصار والأقاليم التي قد كان فتحها الاسلام، وهاذي مباديء علم الجغرافية في الاسلام، فإنهم بتوسعهم في الفتح من جزيرة العرب، وأرض إيران، وأرض الشام، كانوا يكتبون أيضا إلى الخلفاء بإيضاحات عن الأراضي المجاورة لهذه البلاد كأقاليم التتار، وجنوب روسيا، والصين، والهند – وهي أمثلة التقارير الجغرافية التي كانوا يرفعونها للخلفاء الراشدين المكتوب الذي كتبه عمرو بن العاص لعمر بعد فتح مصر، في وصفها. والخطة السياسية التي سيتخذها في حكمه لها، وهو تقرير مهم ساقه بنصه كثير من المؤرخين كصاحب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة المطبوع بليدن سنة 1801م.

وقد ترجم هذا التقرير إلى عدة لغات اجنبية ونشره الكاتب الفرنسي الشهير (كو كتاف اوزان) في جريدة الفيغارو الفرنسية وقال : إنه من الفرائد في إيجازه وإعجازه، واقترح وجوب تدريسه في جميع مدارس المعمورة قال : حتى يتعلموا منه مع قوة الوصف ومتانة التعبير صحة الحكم على الأشياء وكيفية تنظيم الممالك، وسياسة الاستعمار.

ماجاء في هذا الباب عن أبي بكر

قال الحافظ عماد الدين بن كثير في مسند الصديق روايا بسند الحاكم عن عائشة قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ فكانت خمسمائة حديث،

فبات يتقلب قالت : فغمني كثيرا فقلت : يتقلب لشكوى أو لشيء بلغه، فلما أصبح قال : أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجاءته بها فأحرقها وقال خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني، فأكون قد تقلدت ذلك رواه القاضي أبو أمية الأحوص ابن المفضل بن غسان. وزاد أو يكون قد بقي حديث لم أجده فيقال : لو كان قاله رسول الله ﷺ فأخفي على أبي بكر.

قال ابن كثير : هذا غريب وعلي بن صالح لا يعرف الأحاديث عن رسول الله ﷺ أكثر من هذا بألوف، ولعله انما اتفق له جمع ذلك فقط ثم رأى ما رأى مما ذكر، قال الحافظ السيوطي إثره في جمع الجوامع : ولعله جمع ما فاته سماعه من رسول الله ﷺ وحدثه به بعض أصحابه، والظاهر أن ذلك لا يزال على هذا المقدار، لأنه كان أحفظ الصحابة وعنده من الأحاديث مالم يكن عند أحد منهم، ثم خشى أن يكون الذي حدثه وهم فكره تقلده بذلك وذاك صريح في كلامه هـ.

وقد خرج عن عائشة قصة أبي بكر هذا الحاكم وساقها عنه الذهبي في ترجمة أبي بكر من تذكرة الحفاظ وقال : هذا لا يصح هـ.

فنفى الصحة لا مادونها.

ماجاء عن عمر

خرج الهروي في كتاب ذم الكلام من طريق الزهري قال : أخبرنا عروة بن الزبير، أن عمر أراد أن يكتب السنن واستشار فيهما اصحاب رسول الله ﷺ، فأشار عليه عامتهم بذلك، فلبث عمر شهرا يستخير الله في ذلك شاكا فيه، فأصبح يوما فقال : إني كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ثم تذكرت، فإذا ناس من أهل الكتاب قبلكم كتبوا مع كتاب الله كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء فترك كتابة السنن.

وخرج ابن عبد البر في كتاب العلم، من طريق مالك، أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب بيده الأحاديث وكتبها، ثم قال : لاكتاب مع كتاب الله. وأخرج ابن أبي خيثمة وابن عبد البر، عن يحيى بن جعده قال : أراد عمر أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار : من كان عنده شيء من ذلك فليمحه. وفي طبقات ابن سعد أن عمر استخار في ذلك شهرا ثم أصبح فقال : ذكرت قوما

كتبوا كتابا فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله. وفيها أيضا عن الشعبي قال : كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو عامله على الكوفة، أن ادع من قبلك من الشعراء فاستنشدهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية والاسلام ثم اكتب بذلك إلي. انظر القصة في جمع الجوامع وكنز العمال ص 176 ج 2.

وبعد هذا فقد كتب عمر كتابه المشهور إلى قاضيه على البصرة أبي موسى الأشعري وهو كتاب عظيم قال عنه الحافظ ابن القيم في أعلام الموقعين : هو كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه، وقد شرحه وأطال وأسهب فيه ابن القيم في كتابه المذكور فارجع اليه. والديوان العمري مشهور وقد تقدم الكلام عليه. وفي الخطط للمقريزي ص 74 ج 3 عن زيد بن أسلم قال : كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده هـ فهذا يدل على أن عمر كان يعتني بجمع مكاتبه الرسمية ومعاهداته الدولية.

ما جاء عن علي بن أبي طالب

في مقدمة صحيح مسلم حدثنا داوود بن عمر والضبي، حدثنا رافع عن ابن أبي مليكة قال : كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتابا ويخبر عني، قال وهو ناصح : أنا أختار له الأمور اختيارا وأخبر عنه. قال : فدعا بقضاء علي فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول : والله ما قضى بهذا علي إلا أن يكون ضل. وخرج مسلم أيضا قال : أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء علي فمحاه إلا قدر ذراع وأشار ابن عيينة بذراعه، والظاهر أن الكتاب الذي محاه إلا قدر ذراع كان على هيئة درج مستطيل كما للنووي، ونقله عنه السنوسي في مكمل إكمال الاكمال.

وهذا يدل على أن قضاء علي كان مدونا مكتوبا يرجع إليه ويراجع عند الاحتياج، ويدعى به فيحضر، كما تنزل بالعالم اليوم النازلة فيطلب محل النص عليها، فيراجعه في كتب القضاء والأحكام المرجوع إليها في زمانه.

وفي باب كتابة العلم من صحيح البخاري، عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا، إلا كتاب الله أو فهم أُعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال الحافظ في الفتح : أي الورقة المكتوبة. وللنسائي فأخرجه كتابا من قراب هـ

وتعددت الروايات المتضمنة كل رواية لاثبات فصل من الفصول التي اشتملت عليها تلك الصحيفة.

قال الحافظ في الفتح : والجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة. وكان جميع ذلك مكتوبا فيها، فنقل كل واحد من الروايات عنه ما حفظه هـ.

وقال البدر الدماميني في المصابيح على قوله : أو فهم أُعطيه رجل، قال ابن المنير : يعني بالفهم التفقه والاستنباط والتأويل، وانظر هل يقتضي لفظه أن الفقه كان مكتوبا أولا، والظاهر أنه كان مكتوبا عندهم لأن السائل قال : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا، إلا كتاب الله أو فهم أو هذه الصحيفة، وكانت فيها أحاديث وأشياء من الفقه الخ.

وأنت تعلم أن مرادهم بالصحيفة الكتاب الذي يشتمل على كراريس، بدليل قول الفيروزبادي في القاموس : الكراسة واحدة الكراريس، والكراريس الجزء من الصحيفة هـ وقال السيد محمد الحسيني قال كاشف الغطا النجفي في كتابه المراجفات والمطالعات ص 59 ج 2 : أول من صنف في الفقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهي الصحيفة التي ذكرها البخاري ومسلم في صحيحيهما هـ

وفي ترجمة الحارث الأعور من طبقات ابن سعد، أن علي بن ابي طالب خطب الناس فقال : من يشتري علما بدرهم فاشترى الحارث الأعور صحفا بدرهم، ثم جاء بها عليا فكتب له عليها كثيرا، ثم إن عليا خطب الناس بعد فقال : يا أهل الكوفة غلبكم نصف رجل انظر ص 116 ج 6.

ورسالة علي في آداب القضاء والقضاة مشهورة، وهي في نحو كراسة ساقها بنصها صاحب نهج البلاغة.

وممن اعتمدها وساقها له الشهاب احمد بن عبد الوهاب النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب" قائلا في الباب أربعة من القسم 6 من الفن الثاني في وصايا الملوك. لم أر فيما طالعته أجمع وأشمل من عهد كتبه علي بن أبي طالب إلى ملك بن الاشتر حين ولاه مصر، فأحببت أن أُورده على طوله وآتي على جملته وتفصيله، لأن مثل هذا العهد لا يهمل، وسبيل فضله لا يجهل، ثم ساقه انظر ص 19 من ج 6

وفي ترجمة حجر بن عدي الكندي أحد أصحاب علي من طبقات ابن سعد، عن غلام لحجر، قال : قلت لحجر : إني رأيت ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ

قال ناولني الصحيفة من الكوة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما سمعت علي بن أبي طالب يذكر أن الطهور شطر الايمان قال : وكان ثقة معروفا انظر ص 154 من ج 6 ايضا.

ما جاء عن عبد الله بن عباس

قال محمد بن هارون الروياني في مسنده : حدثنا محمد بن زياد، حدثنا فضيل بن عياض، عن عبد الله بن علي بن أبي رافع قال : كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول : ما صنع النبي ﷺ يوم كذا ومع ابن عباس من يكتب ما يقول.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سلمة قال : رأيت ابن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئا من فعل رسول الله ﷺ، وفي طبقات ابن سعد ص 216 ج 5 عن موسى بن عقبة قال : وضع عندنا كريب مولى ابن عباس حمل بعير أو عدل بعير من كتب ابن عباس فقال : كان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب بعث إليه ابعث إلي بصحيفة كذا وكذا قال : فينسخها فيبعث إليه بأحدهما. وفي ترجمة سعيد بن جبير من طبقات ابن سعد ايضا عنه قال : ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى تملأ، وكتبت في نعلي حتى تملأ، وكتبت في كفي.

وفي أوائل الحافظ السيوطي أول من صنف في غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى، أخذ ذلك عن أسئلة ابن الأزرق لابن عباس، وفي تاريخ آداب اللغة العربية للرافعي، أول ما عرف في باب التدوين أن ابن عباس كان يكتب الفتاوى التي يسأل عنها.

وسبق عن الحافظ الزيلعي أن عكرمة قال : وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس. ويتداول الناس اليوم تفسيراً ينسبونه لابن عباس والمطبوع لم يدونه هو، وفي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك بالمدينة المنورة نسخة غير تامة. ومن تفسير آخر لابن عباس مكتوب في رق غزال كتب سنة 310، وممن جمع ماروي عنه في

التفسير أيضا الامام مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس سماه (المقياس في تفسير ابن عباس) وقد طبع مرارا بمصر والهند.

ووقع في جواب في فصل البدع من المعيار للونشريسي ص 377 ج 2، تكلم أهل النقل في صحة نسبة التفسير لابن عباس هـ ولكن في إيثار الحق على الخلق للامام محمد بن إبراهيم الوزير اليمني قد جمع عنه تفسير كامل، ولم يتفق ذلك لغيره من أهل الصدر الأول الذين عليهم في مثل ذلك المعول، ومتى صح الاسناد إليه كان تفسيره من أصح التفاسير هـ.

وقال أبو جعفر بن النحاس في معاني القرآن بإسناده إلى أحمد ابن حنبل قال : بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل فيها إلى مصر رجل قاصدا ما كان كثيرا.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وهذه النسخة التي كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها هـ من أول سورة الحج من فتح الباري.

ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاصي دون ما سبق

في صحيح البخاري أنه كان يكتب الحديث عن الرسول ﷺ في حياته، وجاء عن أبي بريرة من عدة طرق، أنه كان يكتب عن رسول الله ﷺ في حياته بإذنه بعد استيذانه في ذلك المصطفى ﷺ، انظر باب كتابة العلم من فتح الباري، وقد قال الامام أبو محمد بن قتيبة في كتاب مشكل الحديث، بعد أن ذكر حديث النهي عن كتابة شيء دون القرآن مع قوله عليه السلام : "قيدوا العلم بالكتابة" إن في هذا معنيين : أحدهما أن يكون منسوخا بالسنة، كأنه نهى في أول الأمر أن يكتب قوله ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ أن تكتب وتقيد، والمعنى الآخر أن يكون خص عبد الله بن عمرو بن العاص، لأنه كان قارئا للكتب المتقدمة ويكتب بالسريانية والعربية، وكان غيره من الصحابة أُميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان، وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي، فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون. نهاهم، ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك أذن له هـ منه

وفي ص 178 ج 2 من مسند الامام أحمد، عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد

الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أقسمطينة أورومة، فدعا عبد الله بصندوق له حلق فأخرج منه كتابا فقال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب. إذ سئل عن هذا فقال : مدينة هرقل تفتح أولا يعني قسمنطينية، وفي مجمع الزوائد هذا الحديث رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير أبى قبيل وهو ثقة.

وأخرج ابن سعد في الطبقات، عن عبد الله بن عمرو قال : استاذنت رسول الله ﷺ في كتب ما سمعت فأذن لي فكتبته، فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة.

وأخرج ابن سعد أيضا عن مجاهد قال : رأيت عند عبد الله ابن عمرو بن العاص صحيفة فسألته عنها فقال : هذه الصادقة فيها ما سمعته عن رسول الله ﷺ انظر ص 125 ج 2 من القسم الثاني.

وخرج ابن عبد البر عنه في كتاب العلم قال : ما يرغبني في هذه الحياة إلا خصلتان الصادقة، والوهظ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ.

وأما الوهظ فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها ص 72 منه، وفي الخطط للتقي المقريزي ص 143 ج 4 طبع مصر سنة 1326 قال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر. عن حيوة بن شريح قال : دخلت على حسن بن شفي وهو يقول : فعل الله بفلان. فقلت : ما له ؟ قال : عمد إلى كتابين كان سمعهما شفي من عبد الله بن عمرو بن العاص، أحدهما قضى رسول الله ﷺ في كذا، وقال رسول الله ﷺ كذا، والآخر ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة فرمى بهما في النيل قلت : فهل يكون تدوين أمتع من هذا وأكبر وأكثر.

ما جاء عن زيد بن ثابت

ذكر صديقنا البحاثة النقادة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي في كتابه توجيه النظر إلى أصول الاثر ص 8 قال : توهم أناس أنه لم يقيد في عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين شيء إلا الكتاب العزيز وليس الأمر كذلك، فقد ذكر بعض الحفاظ أن زيد بن ثابت ألف كتابا في علم الفرائض هـ

ما جاء عن جابر بن عبد الله

قال الحافظ الذهبي في ترجمة جابر من طبقات الحفاظ : الفقيه مفتي المدينة

في زمانه حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا، وله منسك صغير خرجه مسلم هـ

والمنسك المذكور ساقه مسلم في صحيحه مطولا في كتاب الحج، وهو عنده في نحو أربع ورقات، وعنون عنه مبوب صحيح مسلم بقوله : حديث جابر الطويل.

قال عياض في الاكمال : قد أكثر الناس الكلام على ما فيه من الفقه، وألف فيه ابن المنذر جزءا كبيرا ذكر فيه مائة ونيفا وخمسين نوعا من الفقه، ولو استقصى لزاد على هذا العدد قريبا منه هـ

ولجابر صحيفة معروفة وقع ذكرها في ترجمة مجاهد من طبقات ابن سعد قالوا : كانوا يرون أن مجاهدا يحدث عن صحيفة جابر انظر ص 344 ج 5.

ما جاء عن عبد الله بن مسعود

خرج ابن عبد البر في كتاب العلم ص 72، عن معن قال : أخرج إلي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه خط أبيه بيده.

ما جاء عن أبي هريرة

خرج ابن وهب وابن عبد البر في كتاب العلم، من طريق الحسن بن عمرو بن أمية الضمري قال : تحدث عند أبي هريرة بحديث فأنكره فقلت : إني قد سمعته منك، فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأراني كتبا كثيرة من حديث رسول الله ﷺ فقال : هذا هو مكتوب عندي.

وقد استشكل هذا مع ما في صحيح البخاري عنه من قوله : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب بيده وكنت أعي بقلبي ولا أكتب بيدي. ولكن قال ابن عبد البر : يمكن الجمع بأنه لم يكتب في العهد النبوي ثم كتب بعده.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوبا عنده أنه بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه هـ منه.

وفي ترجمة بشير بن نهيك السدوسي من طبقات ابن سعد عنه أنه قال :

اتيت أبا هريرة بكتابي الذي كتبته فقرأته عليه فقلت : هذا سمعته منك. قال : نعم، ومثله خرج ابن عبد البر في كتاب العلم انظر ص 72 منه.

ما جاء عن الحسن بن مالك

خرج البيهقي في معجمه، عن زيد الرقاشي قال : كنا إذا أكثرنا على أنس بن مالك أتانا بمحال فالقاها إلينا وقال : هذه أحاديث سمعتها من رسول الله ﷺ وكتبتها وعرضتها، انظر تدريب الراوي صحيفة 142.

ما جاء عن معاوية

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص 16 من ج 3، أن معاوية كتب إلى عماله يأمرهم بإكرام الذين يروون في فضائل عثمان، وبأن يكتبوا له بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه، واسم ابيه، وعشيرته، حتى أكثروا فكثر ذلك في كل مصر.

وفي مروج الذهب للمسعودي ص 82 ج 2، أن معاوية كان من أخلاقه إذا صلى الفجر يجلس للقاص حتى يفرغ من قصيصه، ثم كان إذا صلى العشاء يأذن للخاصة وخاصة الخاصة، ثم يقوم ويقعد، ويحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها، والحروب والمكائد، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبين وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فيمر على سمعه كل ليلة جمل من الأخبار، والسير، والآثار، وأنواع السياسات، ثم يخرج فيصلي الصبح. فهذه الكتب التي كانت تقرأ عليه وفيها ما ذكر ولها غلمان وكلوا بحفظها وقراءتها مرتبون، لا بد أن تكون كثيرة كثرة الغلمان الذين وكلوا بترتيبها، وهذا من أغرب ما يسمع عن ذلك العصر الأول. وهذا يدل ولا بد على أن معاوية أول من عني بجمع الكتب والدواوين، ونصب لها ضوابط خلافا لما سياتي أن الذي سبق إلى ذلك حفيده خالد بن يزيد، فالجد هنا هو الذي أسس وشرع، والحفيد جاء على اثر الجد وأكثر فيما جمع.

وفي زمن معاوية أيضا زاد ضبط الداخل والخارج، وكثرة دواوين دوائر الحكومة، حتى وصل الحال في زمنه إلى ضبط المواليد على كثرتها، وضبط الواردين من الخارج وعائلاتهم. ففي الخطط للتقي المقريزي أن معاوية جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا يصبح كل يوم، فيدور على المجالس ويقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل فيكم نازل ؟ فيقال : لفلان جارية، ولفلان غلام،

فيكتب أسماءهم. ويقال : نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسميه وعياله، فإذا فرغ من القبيلة أتى إلى الديوان ليثبت ذلك هـ وهذا يدل دلالة واضحة على رقي الدواوين في زمانه، وكثرة الدفاتر والكتاب والكتابة، وهذا تدوين وتصنيف يعد أصلا أصيلا في باب تدوين الأخبار والأنساب، وضبط الداخل والخارج، والمتزايد والهالك.

ما جاء عن الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب

وكان في زمنه عليه السلام، ترجمته ابن أبي اصيبعة في طبقات الأطباء وقال له : من الكاتب كتاب المحاورة بينه وبين كسرى في الطب هـ وانظر ترجمته من الاستيعاب والاصابة واختصارها.

ما جاء عن صبيغ التميمي الذي طرده وضربه عمر – لأجل كلامه في المتشابه –

وفي العقيدة السلفية لشيخ الاسلام أبي عثمان الصابوني، أنه لما قدم المدينة في أيام عمر كانت عنده كتب.

ما جاء عن كبار التابعين من أهل القرن الأول – منهم الحسن البصري –

في كشف الظنون المطبوع بالاستانة في حرف الكاف، كتاب الاخلاص للحسن البصري فقال : ذكر الخطيب في ترجمة الحلاج في تاريخ بغداد أن القاضي أبا عمرو المالكي توقف في الحلاج حتى قرأ في كتاب له فوقف على أمر فقال له : من أين ؟ فقال : من كتاب الأخلاص للحسن البصري، فقال : سمعنا كتاب الاخلاص للحسن بمكة ولم يكن به شيء من هذا في النكت الوفية، وهذا إقرار من أبي عمرو، أن كتاب الاخلاص للحسن هو أول ما صنف مطلقا هـ من كشف الظنون المطبوع بالاستانة انظر ص 259 ج 2، وللحسن البصري هذا رسالة ألفها في فضل مكة المكرمة زادها الله شرفا وتعظيما، يذكرها المسندون في كتب علم التصوف والتذكير، وممن ساق إسناده اليها فيها القاضي أبو العباس أحمد الغبريني في آخر عنوان الدراية له، انظر ص 232 منها وكلاهما مطبوع معروف، وفي ترجمة حميد الطويل من طبقات ابن سعد، أخبرت عن حماد بن سلمة، عن حميد، أنه أخذ كتب الحسن فنسخها وردها عليه، انظر ص 7 من ج 7 من القسم الثاني.

وفي ترجمة الحسن البصري من طبقات ابن سعد أيضا ص 118 من ج 7 قال يحيى بن سعيد القطان في أحاديث سمرة ابن جندب التي يرويها الحسن عنه : سمعنا أنها من كتاب، وفيها أيضا عن حميد قال : كان علم الحسن في صحيفة مثل هذه، وعقد عفان بالابهامين والسبابتين، وفي ترجمته منها أيضا، أخبرنا موسى بن اسماعيل قال : حدثنا سهل بن حصين بن مسلم الباهلي قال : بعث إلي عبد الله بن الحسن بن أبي الحسن، ابعث إلي بكتب أبيك فبعث إليه أن لها ثقلا، قال : اجمعها فجمعتها له وما ندري ما يصنع بها، فأتيته بها فقال للخادم : أسجري التنور فأمر بها فأحرقت غير صحيفة واحدة فبعث بها إلي، ثم لقيته بعد ذلك فأخبرني مشافهة بمثل الذي أخبرني به الخادم. وخرج ابن عبد البر في كتاب العلم، عن السدي بن يحيى، أن الحسن كان لا يرى بكتابة العلم بأسا وقد كان أملى تفسيرا وكتبا، انظر ص 72 منه

وخرج ابن عبد البر في كتاب العلم، عن الأعمش عن الحسن قال : إن لنا كتبا نتعاهدها انظر ص 38، وفي ترجمة حميد الطويل من طبقات ابن سعد أيضا، أنه أخذ كتب الحسن فنسخها وردها عليه، انظر ص 17 ج 7.

ومنهم زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي

قال ابن النديم في فهرسته : مات سنة إحدى وستين أو ستين، وله من الكتب كتاب السنن، وكتاب القراءات، وكتاب الزهد، وكتاب المناقب.

ومنهم حجر بن عدي الكندي أحد كبار أصحاب سيدنا علي

في طبقات ابن سعد، عن غلام لحجر قال : قلت لحجر : إني رأيت ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ قال : ناولني الصحيفة من الكوة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما سمعت علي بن أبي طالب يذكر أن الطهور شطر الايمان. قال : وكان ثقة معروفا انظر ص 154 من ج 6.

ومنهم سليم بن قيس الهلالي أحد أصحاب سيدنا علي

له كتاب في الحديث وهو موجود الآن في مكتبة السيد ناصر حسين الموسوي امام الشيعة كما ذكر ذلك صاحب مجلة البيان الهندية في العدد 6 من سنتها الرابعة.

ومنهم علي بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ

كان على هذا أحد الخصيصين بعلي كرم الله وجهه، وكان تابعيا من خيار أصحابه كاتبا. وله حفظ كبير، قال السيد محمد الحسيني : قال كاشف الغطا النجفي في كتابه "المطالعات والمراجفات" ص 59 ج 2 : جمع كتابا في فنون الفقه من الوضوء والصلاة وغيرهما، وقال أيضا : هو أول من صنف أحاديث الفقه وأحال في ذلك على كتبه.

ومنهم عبيدة بن قيس السلماني

ممن أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنين ولكنه لم يلقه ومات سنة 72 من الهجرة. في طبقات ابن سعد بسنده إلى النعمان بن قيس قال : دعا عبيدة عند موته بكتبه فمحاها وقال : أخشى أن يليها أحد بعدي فيضعونها في غير موضعها، ونحوه خرج عنه ابن عبد البر في كتاب العلم انظر ص 67.

ومنهم عروة بن الزبير

في كشف الظنون يقال : إن أول من صنف في المغازي والسير عروة بن الزبير. وفي ترجمته من طبقات ابن سعد، وجامع فضل العلم لابن عبد البر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه أُحرقت كتبه يوم الحرة وكان يقول : وددت لو أن عندي كتبي انظر ص 133 من ج 5 من الطبقات وص 75 من كتاب العلم. ولفظ ابن سعد كتب فقه كانت له.

قلت : ووقعة الحرة كانت سنة ثلاث وستين من الهجرة وكثير من الصحابة أحياء. قال بعض الكاتبين : هل احترقت كتب عروة في اليوم الذي كتبت فيه بل كتبت هي وغيرها من الكتب في غضون القرن الأول ؟ فهل بقي شك في أن العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الهجري ؟ هـ ومما يفهمك أن الكتب صار لها كثرة مدهشة آخر القرن الأول وأول الثاني ما في ترجمة أبي عمرو بن العلاء من ابن خلكان، أن كتبه التي كتبت عند العرب الفصحاء قد ملأت بيتا إلى قريب من السقف. وفي شرح أبي الحسن علي الأجهوري لعقيدة الرسالة، نقلا عن إمام الحرمين، أن مالكا أملى في مذهبه نحوا من مائة وخمسين مجلدا في الأحكام الشرعية هـ فانظر كم أملي في غيرها ؟ وفي كتاب "حضارة الاسلام في دار السلام" في خلافة أبي جعفر المنصور : وجه العرب هممهم إلى النظر في فنون الأدب

لتجديد ما طمس من معالم العلم، فكتبوا في جميع فروعه وفنونه، بحيث إنه لو جمعت كتب أمة قديمة عهد بالعمران، لما وجد ما تحويه من العلم أعظم مما تحويه كتب العرب، فان الرشيد لما ركب إلى الرقة في بعض أسفاره حمل معه ثمانية عشر صندوقا من الأسفار ليقطع بمطالعتها زمانه، مع أنه لم ياخذ منها إلا نخبة ما في خزائنه، وقع ذلك في الأغاني للاصبهاني ج 5 ص 267، وذكر أيضا أنه وجد في قصر للرشيد بناه بالناطول ليخرج له للتنزه، خزانة كتب تحتوي على أكثر من ألف كتاب، وعزى ذلك لابن الأثير 16/6، فإذا كان هذا في قصر النزهة فانظر ما كان في القصور الداخلية هـ وفي ترجمة إسحاق بن إبراهيم الموصلي من "الدر الثمين في اسماء المصنفين" كان إذا سافر مع الرشيد يحمل من كتبه التي يحتاج إلى مطالعتها عشرين صندوقا هـ قلت : وفي أواخر القرن الثاني الهجري كثرت الكتب والعلوم في الاسلام، فكادت الأنهار أن تجري بالكتب وتنبتها الأرض، بدليل ما ذكر قاضي قضاة حيدر ابا خودة بخش في مقالة له نشرتها جريدة المقتطف، أن كتب الواقدي تملأ ستمائة صندوق، ويحتمل حملها مائة وعشرون جملا هـ انظر دائرة المعارف الوجدية ص 68 ج 8 ط 2، وفي "الدر الثمين في أخبار المصنفين" لابن أنجب البغدادي لدى ترجمة الواقدي، أنه كان له ستمائة قمطر كتب قال : وكان كل قمطر منها حمل رجل، قال : وكان حفظه أكثر من كتبه هـ مع أن الواقدي المذكور كانت ولادته سنة 130 ووفاته سنة 207، فلا شك أن هذا المقدار من أحمال الكتب والصناديق ليست مؤلفات نصف جيل أو جيل واحد، لا، بل لا يمكن أن تجتمع إلا في جيلين على الأقل.

ومنهم كعب الأحبار الحميري

ذكر في ترجمته أنه لما قيل له كعب الحبر لمكان الحبر الذي يكتب به، لأنه كان صاحب كتب حكاه الفراء. انظر "الخفاجي على الشفا" و"الجاسوس على القاموس" ص 501.

ومنهم ابن شهاب الزهري

في ترجمته من وفيات الأعيان أنه كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا. قالت له امرأته : والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر هـ

وفي "كشف الظنون" أن لابن شهاب كتاب المغازى انظر ص 301 من ج 2 وص 3. وفي طبقات ابن سعد، عن معمر قال: كنا نرى أنا أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب يقال من علم الزهري. وفي ترجمته من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر، عن صالح بن كيسان قال: كنت أطلب العلم أنا والزهري فقال: تعال نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن رسول الله ﷺ، ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، قال: فكتب ولم أكتب، ونجح وضيعت. وفي ص 77 من كتاب العلم لابن عبد البر ذكر ابن المبارك، عن يونس بن يزيد، قال: قلت لابن شهاب: أخرج إلي كتبك فأخرج إلي كتبا فيها شعر.

وعن خالد بن نزار قال شهاب بن عبد الملك: كاتبين يكتبان عن الزهري فأقاما سنة يكتبان كتبه، وتقدم عن مالك قوله: لم يكن عند شيخنا ابن شهاب كتاب إلا كراسة فيها نسب قومه، فهذا كتاب كان عنده أيضا فيه نسب قومه، انظر هل من تصنيفه هو أو تصنيف من قبله؟ والظاهر أنه من تصنيفه في باب الأنساب ليتفق مع ما أثبته غير مالك لابن شهاب من الكتب والمصنفات والله أعلم.

ومنهم خالد بن يزيد بن معاوية الأموي المتوفى سنة 85 من الهجرة

قال ابن خلكان بعد أن وصفه بأنه كان من أعلم قريش بفنون العلم ما نصه: له كلام في صناعة الكيميا والطب، وله رسائل ثلاث دلت على معرفته هـ وقد تهجم ابن خلدون على إنكار ما ذكره ابن خلكان عن خالد، معللا إنكاره البارد بأن خالدا المذكور من الجيل العربي والبداوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع فكيف له بصناعة غريبة المنحى وكتب ذلك لم تترجم بعد الخ وجرى على مقتضاه يوليوس اومك الألماني حيث قال: ليس لدينا شهادة من عصر خالد بن يزيد تثبت ميله العلمي، وليس فيما نعرفه عن الحياة الرسمية في ذلك العصر أقل إشارة تدعو إلى الظن، أن ابن خليفة في دمشق عني بالعلم اليوناني يبحث المرء عن رجل اهتم بترقية العلم في المغنين والموسقيين الخ كلامه راجع في المجلة الاسيوية الصادرة سنة 1924 م أقول: ويكفي في رد هذا التهجم العنادي، أن الجاحظ في البيان والتبيين، وابن النديم في فهرسته، وابن القفطي في طبقات الحكماء، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، وابن خلكان والصلاح الصفدي، والسيوطي في تواريخهم، والسفاريني وجماعات أثبتوا ذلك لخالد، وناهيك بهؤلاء وهم أئمة التاريخ، وفطاحلة النقل والبحث، ومنهم من رأى آثاره في ذلك وعمله كابن

القفطي انظر ترجمته من طبقات الحكماء له، قال الصلاح الصفدي : خالد بن يزيد عرب من كتب الفرس كتاب كليلة ودمنة، وعرب لأجله كتب المجسطي من كتب اليونان هـ نقله الشمس السفاريني النابلسي في شرح منظومته التوحيدية، ويكفي إثبات الجاحظ وابن النديم، وهما من هما في الاطلاع والقرب من زمن خالد، خصوصا مع قول ابن النديم : إن صناعة الكيمياء كانت رائجة في زمن خالد هـ وكل ذلك مما يفهمك أن ابن خلدون لو كتب مقدمته في المشرق لكانت أوسع بحثا وأطول مادة منه حيث كتبها في المغرب، إذ لو ألفها هناك بعد وقوفه على أخبار وآثار وتواريخ الشرق وحضارته الواسعة، لمنعه ذلك من نفي أُمور اعتمد في نفيها على حدسه وتخمينه، كمسألتنا هذه التي نحن بسبيل الرد عليه فيها وأمثالها، هذا المقدار عن خالد ذهب جماعة من الكتاب العصريين إلى أن خالد هذا، أول من جمعت له الكتب، وجعلها في خزانة في الاسلام، ففي دمشق اذاً أُنشئت أول دار للكتب في العالم العربي انظر ص 23 من ج 4 من خطط الشام لرئيس المجمع العربي بدمشق، وقد قدمت أن الجد معاوية هو الذي بنى له الأساس، ونجر له طرق النبراس.

ومنهم عبيد بن شرية الجرهمي النسابة الاخباري المعمر سنة 67، وفد على معاوية بن أبي سفيان، وألف له كتابا في أخبار الملوك الماضين ذكر ذلك ابن النديم في فهرسته والسجستاني في كتاب المعمرين، وله أيضا كتاب الأمثال وقد ترجمه الحافظ في الاصابة وذكر له ما ذكر، وقد كتب البحاثة عبد العزيز الراجكوتي من الهند إلى مجلة الزهراء بمصر، يذكر أن كتاب عبيد في أخبار الملوك موجود الآن في حيدر اباد بالهند، وكان يظن أنه مما خسر من تركة الأسلاف، وقال واصفا له : لعله أقدم كتاب عربي في العالم بعد القرآن انظر ص 474 من مجلد الزهراء 1، وذكر بعض الباحثين أنه ربما جاز أن يعد الجرهمي هذا أول من دون التاريخ في الشام.

ومنهم أبو خلف الأزدي من أصحاب علي

له كتاب في تراجم المشاهير ذكره له ابن النديم في فهرسته

ومنهم الضحاك بن مزاحم

خرج ابن عبد البر في كتاب العلم عن حسين بن عقيل قال : أملى على الضحاك مناسك الحج انظر ص 72 منه.

ومنهم عوانة بن حكم الكلبي

له كتاب في التاريخ ذكره له ابن النديم.

ومنهم زياد بن أبيه

الداهية المشهور الذي استلحقه معاوية بنسبه له كتاب في نسبه ذكره له ابن النديم أيضا.

ومنهم عكرمة مولى ابن عباس وعلي بن طلحة ومقاتل بن سليمان

في كشف الظنون المطبوع لدى الكلام على الوجوه والنظائر في القرآن، نقلا عن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي نسبة كتب ثلاث فيها لهم، انظر حرف الواو من الكشف ص 628.

ومنهم أبو قلابة المتوفى سنة 84

من طبقات ابن سعد أنه أوصى فقال : ادفعوا كتبي إلي أيوب إن كان حيا وإلا فأحرقوها.

ومنهم قتادة بن دعامة السدوسي

له تفسير نسبه له صاحب كشف الظنون.

(ومنهم أبو العالية رفيع) الذي أسلم في زمن أبي بكر وفاته سنة 90 من الهجرة، ترجمه الخفاجي في نسيم الرياض وقال : له تفسير.

(ومنهم الحسن بن محمد بن الحنفية) المتوفى في أيام عمر ابن عبد العزيز، عن زادان وميسرة، أنهما دخلا على الحسن بن محمد بن علي، فلاماه على الكتاب الذي ألفه في الارجاء فقال لزادان : يا أبا عمر، لوددت أني كنت مت ولم أكتبه انظر ص 241 ج 5 من طبقات ابن سعد.

(ومنهم أبو الأسود الدؤلي صاحب سيدنا علي) المتوفى سنة 69 في أيام ابن الزبير، ذكر ابن الأنباري في "نزهة الألبا في طبقات الأدبا ص 11، أنه وضع مختصرا في النحو، وانظر فهرسة ابن النديم وأمالي الزجاج، وأوائل السيوطي، وكنز العمال ومنتخبه، والقسم العاشر من كتابنا التراتيب الادارية، وذكر الفخر الرازي كما في

"الأزهار الطيبة النشر" أن عليا رسم لأبي الأسود باب الاضافة، وباب الامالة، ثم صنف أبو الأسود باب العطف، وباب النعت، ثم باب التعجب، وباب الاستفهام هـ وقد ترجم لأبي الاسود هذا علي بن أنجب البغدادي في كتابه "الدر الثمين في أسماء المصنفين" قائلا فيه : هو أول من وضع علم النحو ونسب إليه إلى أن قال : وإنما ذكرته في هذا الكتاب، لأنه أول من وضع في النحو كتابا قسم فيه الكلام وحصره في الاسم والفعل والحرف هـ منه

(ومنهم وهب بن منبه) صاحب الأخبار والقصص المتوفى سنة 115 وبعدها، له كتاب في الملوك المتوجين من حمير واخبارهم واشعارهم وقصصهم قال ابن خلكان : إنه شاهده بنفسه، وأنه في مجلد واحد، وأنه من الكتب المفيدة.

ومنهم زيد بن أسلم مولى عبد الله بن عمر

ترجمه الذهبي في "تذكرة الحفاظ" فقال : قلت ولزيد تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن هـ وقال الزرقاني في شرح الموطأ : وكان عالما بالتفسير له كتاب فيه هـ

(ومنهم صحان العبدي) كان خارجيا، وكان احد النسابين والخطباء في أيام معاوية بن أبي سفيان، روى عن النبي ﷺ حديثين، ترجمه ابن النديم في فهرسته وقال : له من الكتب كتاب الأمثال.

فظهر لك بما سطر وقدر أن مراد من يقول : إن التدوين والجمع إنما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز وبأمره في الأحكام والحلال والحرام، تدوينا مرتبا على الكتب والأبواب والمسائل، لا التدوين المفرد في الأبواب، ولا في التاريخ والأخبار والحكمة والطب التي علمت مما سبق أن جمعا ألفوا فيها فيما قبل.

وفي أول جامع الأصول لابن الأثير قيل : أول من صنف وبوب الربيع بن صبيح في البصرة. وفي أوائل السيوطي أول من صنف في الحديث ورتبه على الأبواب مالك بن انس بالمدينة، وابن جريج بمكة الخ فانظر تقييدهم بالأبواب فهو محط النظر عندهم لا غير، على أن تاريخ أصبهان لابن نعيم قصة عمر بن عبد العزيز بلفظ، كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق : فانظروا حديث النبي ﷺ فاجمعوه، وكتابته بذلك كتابة عامة للآفاق لا تدل إلا على أنهم يريدون صدور الأمر بجميع الآفاق، ليجمعوا كل ما كان عندهم مفرقا أو مجموعا ليجمع الجميع في عاصمة الخلافة، فيختار منها ما ينشر. وهذا لا ينافي أن بعض الشيء قد كان دون في بعض

الجهات من قبل. وفي كتاب العلم لابن عبد البر، عن ابن شهاب، أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترا دفترا فبعث على كل أرض عليها سلطان دفترا، انظر ص 76

فيحتمل ان يكون مراده بأمر الجميع بالجمع جمع وكتب ما كتب ابن شهاب ودون. وبعد الفراغ من كتب هذا أردت أن أقف على نص الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح من الباب، فإذا هو للمتأمل لا ينافي كل ما سقناه، وإنما أفسده من ينقله مقتضبا مختصرا، ويمر عليه مرورا بغير تامل لمنطوقه ومفهومه. فمراجعة الأصول : أصول ومباني التحقيق في العلم، وهذا سياق نص هدى الساري : اعلم أن آثار النبي ﷺ لم تكن في زمن أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع، ولا مرتبة لأمرين :

– أحدهما أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن.

– الثاني سعة حفظهم وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم كانو لا يعرفون الكتابة. ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار، وتبويب الأخبار، لما انتشر العلماء في الأمصار. فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما، فكانوا يصنفون كل باب على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة في منتصف القرن الثاني، فدونوا فيه الأحكام فصنف مالك الموطا ومزج الحديث بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين ومن بعدهم، ثم تلاهم من بعدهم، إلى أن رأى بعض الأئمة أن يفرد حديث النبي ﷺ خاصة، فصنفوا المسانيد على رؤوس المائتين هـ ملخصا.

ولما نقله السيوطي في أول "تنوير الحوالك" قال : وهو ملخص من كلام "المحدث الفاصل" للرامهرمزي، و"الجامع" للخطيب، و"جامع الأصول" لابن الأثير، وقد سبقت عبارتهم في شرح القبس هـ منه ص 6.

فتأمل ما تحت كل كلمة من كلمات من ابن حجر من الاحترازات المفيدة، وخصوصا قوله (وآثار النبي ﷺ لم تكن في عصر الصحابة ولا في كبار تابعيهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة) فإنه لا ينفي أنها كانت مدونة في زمانهم في غير الجوامع، ولا مدونة تدوينا غير مرتب، ثم تأمل قوله : ثم حدث في عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار، فإن الآثار والأخبار أعم من كلم النبي ﷺ وسنته.

وقد علمت مع ذلك أنه يريد تدوينها في الجوامع، وترتيبها على الأبواب، لا ما هو أعم من ذلك مما أثبتناه لمن قبل أواخر عصر التابعين. ثم الذي أثبته للربيع بن صبيح هو تصنيف كل باب على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فصنفوا في الأحكام. وأما قول الحافظ : إلى أن قام كبار اهل الطبقة الثالثة في منتصف القرن الثاني الخ، فلعل صوابه أوائل. لقول الحافظ الذهبي : بعد العشرين شرعوا في التدوين، ولأن مالكا صنف كتابه في ستين سنة وقد توفي في عشر الثمانين بعد المائة، فيكون صنف كتابه في أوائل الثانية نبه عليه المعتني الضابط الشريف أبو محمد عبد الله بن ادريس العراقي بخطه على هامش نسخته من تنوير الحوالك والله أعلم. على أن العرب في جاهليتهم كانت لهم كتب يتداولونها وينقلونها ويدخرونها.

فقد أخرج البيهقي في شعب الايمان، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ يعني باطل الحديث، وهو النضر بن الحارث بن علقمة اشترى أحاديث العجم وصنيعهم في دهرهم، وكان يكتب الكتب من الحيرة إلى الشام. انظر "الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور" ص 158 ج 5 طبع مصر. وفي تفسير البغوي قال الكلبي : ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة، كان يتجر فيأتي الحيرة، ويشتري أخبار العجم، فيحدث بها قريشا ويقول : إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود. وأنا أحدثكم رستم، واسفنديار، وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه، انظر ص 153 ج 3. وفي "جامع البيان في تفسيره القرآن". أو أنزلت فيمن اشترى كتب أخبار سلاطين العجم ويحدث بها قريشا هـ منه ونحوه نقل الشهاب الألوسي في تفسيره، عن "أسباب النزول" للواحدي، وهو عن الكلبي ومقاتل. انظر ص 463 ج 1. وفي "الخصائص" لابن جني ص 393 ج 1 أخبرنا أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الخليل بن أسد البوشجاني قال : حدثنا محمد بن يزيد بن أبان قال : أخبرنا رجل عن حماد الراوية قال : أمر النعمان بن المنذر فنسخت أشعار العرب في الطنوج، يعني الكراريس، فكتبت له ثم دفنها في قصر الأبيض، فلما كان المختار ابن أبي عبيد قيل له : إن تحت القصر كنزا فاحتفره فأخرج تلك الأشعار فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة هـ

وقد ذكر هذه القصة عن حماد، الحافظ السيوطي في "المزهر" ص 121 ج

1، وفي القاموس، الطنوج : الصقوب والكراريس لا واحد لها هـ. والطعن في هذه الرواية بأن ناقلها حماد المكثر المبالغ المجازف غفلة أو تغافل من الطاعن، عن قول ابن خلكان من ترجمته من تاريخه : كان من أعلم الناس بأيام العرب، وأشعارها، وأنسابها، وأخبارها، ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتوثره وتستزيده، ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، وذكر أن أبا يحيى محمد بن كناسة رثاه بقوله :

يرحمك الله من أخ ثقة — لم يك في صفو وده كدر
هكذا يفسد الزمان ويفنى — العلم فيه ويدرس الأثر

انظر ص 194 ج 1 ط 1. ولم يعرج على طعن فيه ولكن من يشتهي الطعن يلذه، وإن وجد له رائحة كبرها وعظمها كما يكبر الفوتوغرافي الصورة. وقد ذكر قصة النعمان هذه ابن سلام في طبقات الشعراء ولم يسندها إلى راو بعينه. وفي مادة رسم من صحاح الجوهري ص 290 ج 1. والرواسم : كتب كانت في الجاهلية هـ ونحوه في القاموس ونصه ممزوجا بشرحه للحافظ الزبيدي، والرواسم : كتب كانت في الجاهلية واحدها رسوم، وأنشد الجوهري لذي الرمة :

ودمنة هيجت شوقي معالمها — كأنها بالهدملات الرواسيم

والهدملات : رمال بالدهناء هـ. وذكر ابن هشام في السيرة، أن سويد بن صامت قدم مكة حاجا فتصدى له النبي ﷺ ودعاه إلى الاسلام فقال سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ، وما الذي معك، قال : مجلة لقمان.

قال السهيلي في الروض : المجلة : هي الصحيفة وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة هـ وفي الأغاني للأصبهاني، أن الأوس والخزرج كانوا يكتبون شعرهم.

وبكل ما سبق تعلم أن ما تهجم به بعض المستشرقين وهو مرغليوث في قوله : لو كانت الصحف يكتبها الناس ويسألون عن منشئها، لكان من البديهي أن تنقل صور هذه الصحائف وتباع حتى يستفيد منها أربابها، ساقط عن حيز الاعتبار، فإن الكتب كانت تباع في الحيرة كما سبق، ويجلبها الناس

منها ومن الشام بالشراء مرة، وبالانتساخ مرة، كما في "فتح البيان" لصديق حسن خان الهندي، وقد أوما إلى شيء من ذلك القرآن الكريم في قوله : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾. على أن الآية نزلت فيمن كان يشتري الكتب من الشام والحيرة ويأتي بها قاصدا إضلال المسلمين. وفي البحر لأبي حيان إن أريد باللهو ما يقع عليه الشراء كالجواري المغنيات، وككتب الأعاجم، فالاشتراء حقيقة هـ و قد تشكك بعض المتشككين في هذا بقوله : وجود أبيات مسطورة قبل الاسلام بقلم حميري، وبخط آخر يناقض نصوص القرآن، حيث يقول للعرب : "أم لكم كتاب فيه تدرسون" ويقول "أم عندهم الغيب فهم يكتبون".

وقد تعرض إدوربرا ونلش إلى هذه الشبهة في مقاله الصادر في مجلة الآداب الشرقية، ودفعها بما هو حق واضح فقال : القرآن يقول لأهل مكة ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ ولا يريد نفي الكتابة والكتب عن أهل مكة، أي كتاب كان، وإنما يريد نفي كتاب مثل القرآن في معانيه أو على الأقل يكون قريبا منه هـ وهذا الذي قاله هو الواقع، وبه نطقت تفاسير القرآن للعرب والعجم من المسلمين، قال الشيخ معيد الدين في "جامع البيان" : "أم عندهم الغيب" اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه، ويخبرون الناس أو علم الغيب فهم يحفظونه.

وقال أيضا على قوله تعالى : أم لكم كتاب من الله فيه تدرسون تقرأون هـ وقال أيضا "أم عندهم الغيب فهم يكتبون" أي علم ماغاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل، وقال قتادة : هذا جواب لقولهم : "نتربص به ريب المنون" يقول : أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمدا ﷺ يموت قبلهم فهم يكتبون، قال : أي يحكمون، وقال ابن عباس : أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به هـ وقال ابن كثير أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله هـ ولولا أن العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون الكتب والسطور وما يكتب فيها، ما أقسم سبحانه في القرآن بها، فقد قال تعالى : ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور﴾، أخرج عبد بن حميد : وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد قال : وكتاب مسطور : صحف في رق

منشور، قال: الصحيفة، وأخرج عبد الرزاق في "خلق أفعال العباد" وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن قتادة في قوله: وكتاب مسطور، قال: مكتوب في رق منشور، قال: هو الكتاب، وأخرج آدم بن أبي إياس، والبخاري، في خلق أفعال العباد، وابن جرير، والبيهقي، عن مجاهد، في قوله وكتاب مسطور قال: صحف مكتوبة في رق منشور، قال: في صحف.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: في الكتاب، وفي تفسير ابن جزي على قوله تعالى في رق منشور، الرق في اللغة الصحيفة، وخصصت في العرف بما كان في جلد، والمنشور خلاف المطوي هـ

فلولا أن العرب كانوا يعرفون الكتب وما يكتب فيه من رق ونحوه، وأن الكتب تنشر وتطوى، ما خاطبهم الله بذلك وأقسم لهم به، ومما لاشك فيه أن اليهود والنصارى الذين كانوا بالمدينة وغيرها من جزيرة العرب، كانت عندهم نسخ التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب القديمة، بل في "شرح المنهاج" للشهاب احمد بن حجر الهيثمي، أنه عليه السلام دخل عليه بنسخة من التوراة فقام لها، وفي باب كتابة العلم من فتح الباري، أن عبد الله بن عمرو بن العاص، كان ظفر بالشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها، ويحدث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين هـ

وفي الختام أرجو أن يقع هذا البحث من المعتنين بالتبصر والتروي منزلته، ويتبع بما يؤيده وينصره، أو يرده حسب التمحيص والنقد التاريخي الخالص من شوائب الأغراض.

وعسى أن يقف بين عيني كثير من الكاتبين الذين يتبعون في التاريخيات، طريقة التفلسف البارد، والتعليل الذي يسمونه الخلدوني، وهم ليسوا في التفكير والتبصر كابن خلدون، فيتوقفون قليلا عن التصريح بأشياء مبناها اليقين لا الظن والتخمين، فعلى هؤلاء الاحتفاظ بلا أدري فإن من هجرها أُصيبت مقاتله.

ونكرر شكر رجال هذا المجمع، ومن خطا له من وراء البحار، ومن خلف ألف ألف باع وميل من البراري والقفار، وكذا من حبس نفسه للاستماع. أو أوقف نفسه للانتفاع، أو تسبب في هذا الاجتماع والسلام ختام في أواسط شوال عام 1346.